

اللغة اليمنية القديمة في أغاني الزراعة في محافظة البيضاء اليمنية

علوي أحمد الملجمي

جامعة البيضاء - اليمن

إيميل: aaalwia@outlook.sa

a.almalgami@yahoo.com

الملخص

اللغة اليمنية القديمة هي مجموعة من اللهجات المتقاربة لفظاً وخطاً ضمن فصيلة لغوية أطلق عليها المستشرقون "اللغات السامية Semitic languages"، والملاحظ أن هذه اللغة رغم تطورها خطأ ولفظاً إلى العربية الحديثة (عربية القرآن) فإن هناك خصائص لغوية وألفاظ حافظت على وجودها في البلاد التي عاشت فيها هذه اللغة. وأغاني الزراعة مادة لغوية جيدة حفظت كثيراً من ألفاظ اللغة اليمنية القديمة وخصائصها، وستقتصر الدراسة على أغاني الزراعة في محافظة البيضاء أنموذجاً، وهي تحتوي على إرث كبير من الألفاظ العتيقة التي تتضمنها محافظة البيضاء كما هي في أصولها، قبل دخول تأثيرات الاغتراب والانفتاح الفضائي.

ويلاحظ الدارس الفيلولوجي أن بعض هذه الألفاظ غير موجود في معاجم العربية، لكن عند الرجوع إلى معاجم اللغة اليمنية القديمة ونقوشها يتبين أن هذه الألفاظ موجودة فيها لفظاً ومعنى. ويلاحظ كذلك وجود ألفاظ موجودة في اللغة اليمنية القديمة وفي المعاجم العربية. وهذه الظاهرة تثير انتباه الدارسين لتتبعها، ودراستها، وهو ما تطمح هذه الدراسة للقيام به. ومن هنا فهذه الدراسة تهدف إلى تتبع ألفاظ الزراعة في محافظة البيضاء اليمنية، وبيان ما فيها من ألفاظ اللغة اليمنية القديمة وخصائصها التي لا وجود لها في معاجم اللغويين العرب، وما فيها من الألفاظ المشتركة بين اليمنية القديمة والعربية.

وتتكون الدراسة من مبحثين:

المبحث الأول: اللغة اليمنية القديمة: تعريف موجز.

المبحث الثاني: أغاني الزراعة وعلاقتها باللغة اليمنية القديمة:

مدخل

1. ألفاظ غير موجودة في العربية وموجودة في اليمنية القديمة.
2. ألفاظ مشتركة بين العربية واليمنية القديمة.
3. الخصائص اللغوية.

مقدمة

المطلوب، لا جمعاً ولا دراسة، فقد واجه طيلة السنوات الماضية - وما زال - اهمالاً من قبل المؤسسات الحكومية (وزارة الثقافة والمؤسسات الأكاديمية كالجامعات والمراكز البحثية) والمؤسسات الشعبية، فلم نجد مبادرات مجتمعية لجمع التراث ودراسته، إلا النزر اليسير، لم يكتب له الاستمرار والانتشار. ولذلك فإنه تقع على عاتق الباحثين مهمة عظيمة لتوثيق هذا التراث ودراسته ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، لعلهم بجهودهم الفردية ينفذون ما استطاعوا إنقاذه من التراث الشفوي، الذي يضيع بموت الجيل الذي يحمله في ذاكرته، فالجيل التالي لا تحتفظ ذاكرته بكثير من التراث الشفوي؛ بسبب كثير من المؤثرات الاجتماعية والانفتاح الفضائي.

التراث اليمني غني ومتنوع، ويضم ثروة عظيمة من المفردات والظواهر اللغوية، ويعد ذاكرة ثقافية للمجتمع في ماضيه وحاضره، ويمكن لكثير من التخصصات الاستفادة من هذا التراث، كالدراسات اللسانية، وخاصة اللسانيات المقارنة، والدراسات الأنثروبولوجية، والاجتماعية، والثقافية، وغيرها. والتراث الشفوي اليمني يضم معجماً ضخماً من الألفاظ التي يمكن دراستها في المستويين: الوصفي، والمقارن. ويضم كذلك مجموعة كبيرة من الظواهر اللغوية التي يمكن دراستها ومقارنتها مع الظواهر اللغوية المشابهة في الفصحى واللغات القديمة. ما ألاحظه - ويلاحظه كثير من الدارسين والمهتمين - أن هذا التراث لم يحظ بالاهتمام

والمغولية، والمنشورية، والفينية، وغيرها، أي أن تسميتها بالفصيلة من قبيل المجاز، لأن هذه الفصيلة تضم لغات لا تربط بينها علاقات، ولكن (مولر) جمعها تحت هذا الاسم؛ تخلصاً من كثرة التقسيمات. (الصالح، 1960، 41-42-43-44)

وتدخل اللغة اليمنية القديمة أو ما أطلق عليها المستشرقون (العربية الجنوبية) أو (العربية القديمة) تحت فصيلة اللغات السامية، وتضم هذه الأسرة اللغوية لغات الشعوب التي تسكن الآن وسكنت قديماً شبه الجزيرة العربية، واليمن، والحبشة، وبلاد الشام، والعراق.

قسمها الدارسون إلى قسمين كبيرين تحت كل قسم عدد من اللغات التي تنتسب بدورها إلى لغات على النحو الآتي:

1- القسم الغربي: ينقسم بدوره إلى قسمين:

- القسم الجنوبي الغربي، الذي يضم اللغة العربية، واللغات اليمنية القديمة (العربية القديمة)، وهي: القتبانية، والحضرية، والمعينية، والسبئية، والحميرية، والحبشية؛ التي تضم اللغة الجعزية، والأمهرية.

- القسم الشمالي الغربي: ويضم اللغة الكنعانية والآرامية، ومن الكنعانية: العبرية والفينيقية ولغة مؤاب شرقي فلسطين وغيرها، ومن الآرامية: المنداعية، والسريانية.

2- القسم الشرقي: اللغات البابلية والآشورية. (عبدالطوب، 1999، 25)

2. أغاني الزراعة وعلاقتها باللغة اليمنية القديمة:

أغاني الزراعة هي أهزيج ومواويل تقال عند ممارسة أعمال الزراعة، مثل: حرث الأرض، وزريها، وسقيها، وعلف الزرع، وحصاده. وتحتوي على إرث كبير من الألفاظ العتيقة التي تتضمنها لغة محافظة البيضاء كما هي في أصولها، قبل دخول تأثيرات الاغتراب والانفتاح الفضائي.

ويلاحظ الدارس الفيلولوجي أن بعض هذه الألفاظ غير موجود في معاجم العربية، لكن عند الرجوع إلى معاجم اللغة اليمنية القديمة ونقوشها يتبين أن هذه الألفاظ موجودة فيها لفظاً ومعنى. ويلاحظ كذلك وجود ألفاظ موجودة في اللغة اليمنية القديمة وفي المعاجم العربية. وهذه الظاهرة تثير انتباه الدارسين لتتبعها، ودراستها، وهو ما تطمح هذه الدراسة للقيام به. ومن هنا فهذه المقالة تسعى لتتبع ألفاظ الزراعة في محافظة البيضاء اليمنية، وبيان ما فيها من الألفاظ اليمنية القديمة التي لا وجود لها في معاجم اللغويين العرب، وما فيها من الألفاظ المشتركة بين اليمنية القديمة والعربية.

وعليه، فإنني سأقسم هذا المبحث إلى جزأين: الأول: كلمات وردت في اللغة اليمنية القديمة ولم ترد في معاجم اللغة العربية، والآخر: كلمات مشتركة وردت في معاجم اللغتين.

محافظة البيضاء من المحافظات الغنية بالتراث الشعبي الشفوي، وهي كذلك من المحافظات المهملة في هذا المجال في الوقت ذاته. فتراثها الشعبي غني ومتنوع؛ وما زال كثير منه مادة خاماً، لم تجمع، ولم تدرس. ومن أنماط هذا التراث أغاني الزراعة، وهي مهاجل تقال عند ممارسة أعمال الزراعة. وهي مادة جيدة لدراسة اللهجة، وتوصيفها، ومقارنتها، وهي مادة جيدة كذلك لدراسة حياة الناس من خلالها وفلسفتهم وعاداتهم وثقافتهم.

وهذه الدراسة تقتصر على دراسة هذه الأغاني دراسة مقارنة باللغة اليمنية القديمة، وتهدف إلى البحث في الألفاظ الواردة في أغاني الزراعة في محافظة البيضاء ولها أصل في اللغة اليمنية القديمة، وإيضاح بعض الظواهر التركيبية الموجودة في هذه الأغاني التي تعود إلى اللغة اليمنية القديمة.

1. اللغة اليمنية القديمة: تعريف موجز:

اللغة اليمنية القديمة هي مجموعة من اللهجات المتقاربة لفظاً وخطاً ضمن فصيلة لغوية أطلق عليها المستشرقون "اللغات السامية Semitic languages"، تضم أيضاً: العربية، والحبشية، والعبرية، والكنعانية، والآرامية. وشكلت هذه اللغات فصيلة لغوية واحدة لتقاربها؛ فقد أثبتت الدراسات الفيلولوجية أن هناك تقارباً كبيراً بينها في الألفاظ والقواعد.

وهذه الفصيلة هي إحدى فصائل اللغات البشرية بحسب تقسيم مكس مولر Max Muler للغات البشرية الذي يعتمد على الصلات وروابط القربى، والعلاقات التاريخية والجغرافية بين الشعوب، فقد حاول أن يجعل من كل مجموعة متقاربة من اللغات فصيلة مستقلة، وترجع عنده جميع اللغات الإنسانية إلى ثلاث فصائل:

الفصيلة الأولى: السامية - الحامية (Chamito Samitiques): وتضم مجموعة اللغات (السامية)، وتنسب إلى سام بن نوح، ومجموعة اللغات الحامية، التي تنسب إلى حام بن نوح، وتضم اللغات المصرية القديمة، والقيطية، واللغات البربرية، واللغات الكنوشيتية (الحبشية القديمة، والنوبية).

الفصيلة الثانية: الهندية - الأوربية (Indo - Europeenne): ويندرج تحت هذه المجموعة عدد من اللغات البائدة كالسكسكريتية، والفارسية القديمة، والبهلوية واللغات الجرمانية، واليونانية، والإغريقية القديمة، كما يدخل ضمن هذه المجموعة من اللغات المستعملة حية اللغات الهندية، والفارسية، والكردية، والأفغانية، والأرمنية، والألبانية، واللغات الأوربية، والسلافية والاسكندنافية وغيرها.

الفصيلة الثالثة: الطورانية (Touranienne): أطلق مكس مولر وبونسن Bunsen اسم اللغات الطورانية على طائفة من اللغات الآسيوية والأوربية التي لا تدخل تحت فصيلة من الفصيلتين السابقتين، كالتركية، والصينية، واليابانية، والتركمانية،

بُذِرَتْ فيها الحبوب، ومن أشهر السنة الحميرية القديمة ذا مذران ذمذرن وهو شهر الذري، وما زال هذا التقويم بألفاظ أشهره ذاتها (مع تعديل طفيف في النطق) هو المعتمد والمستخدم لدى المزارعين في هذه المناطق.

- حَوْم:

الحَوْم في العامية الحر، أو ارتفاع درجة الحرارة، يُقال: "اليوم حَوْمٌ" أي "جو اليوم شديد الحرارة". ووردت هذه اللفظة في أغاني الزراعة مثل قولهم:

حَوْمَ المَقِيلِ اسْهَرِ العَيْنِ

وَسَى فِي العَيْنِ غَمَّاشِ

وهذه الكلمة موجودة في المعجم السبئي بمعنى «فصل حر» (Beeston، 1982، 68). ولم تدون المعجم التي جمعت العربية الحديثة هذه اللفظة، لكن هناك مرادفات لها في العامية موجودة في اليمينية القديمة وموجودة في العربية، مثل كلمة "حر". (Beeston، 1982، 71)

- وِدْن/ أُوْدَان:

الوِدْن والجمع أُوْدَان في العامية هو الحاجز الترابي بين الحقول الزراعية، ويكون هذا الحاجز من الطين الذي جُمع بشكل يجعله أعلى من مستوى الحقل بغرض حجز الماء، وارتفاعه لا يكون كبيراً، بل يكون من نصف مترٍ إلى متر، ويكون غالباً مزروعاً بالعشب حتى يكون أكثر تماسكاً. ومن أغاني الزراعة التي وردت فيها هذه اللفظة:

يا مَسْلَمَةَ يَا بِنْتَ مَسْلَمَانِي

رُذِي المَرَقِ وَاذِي لَنَا رُؤْمَانِي

رَعِي صَاحِبِ التُّورِ جَالِسِ عَلَى لُؤْدَانِي

ونلاحظ أن الجمع "أودان" تحذف همزته عندما يكون معرفاً ب(ال)، فالكلمة تنطق في العامية بحذف همزة الوصل من (ال) كما هو معروف في العربية، وحذف همزة القطع من أول "أودان"، فيقال بدلاً من "الأودان" "الودان"، كما في المثال السابق. وهو تغير صوتي ناتج عن الميل إلى السهولة والخفة، ويحدث غالباً مع الهمزة لتقلها.

وهذه اللفظة موجودة في اللغة اليمينية القديمة، ففي المعجم السبئي تعني كلمة "ودن وذن" أعد حقولاً للري، و"ودن أرضاً" جهزها للزراعة. (Beeston، 1982، 156) ولعل المعجم لم يعط الكلمة حقها من المعنى، فالمقابل للمعنى الذي ورد في النقوش من لغة العامة المستخدمة اليوم "ودن الأرض"، أي: جهزها بالأودان استعدادها لريها وزراعتها. وهو ما يتضح أكثر من المعنى الذي أورده لها معجم العربية الجنوبية القديمة، وهو: تجهيز الحقول لريها، أو تجهيزها للسيول. (Biella، 1982، 122) وهو ما يفعله المزارعون إلى يومنا؛ إذ وظيفة الودن هو حجز الماء في الحقل حتى يأخذ

وليس معنى أن الكلمة غير موجودة في معاجم اللغة اليمينية القديمة ومراجعها التي اعتمدها في الدراسة أنها غير موجود في اللغة اليمينية القديمة، وأن اليمينيين القدماء لم يكونوا يتكلمون بها؛ لأن آثاراً كثيرة - وهو ما يعني نصوصاً كثيرة - لم تكتشف، والمكتشف لم يعط حقه من الدراسة اللغوية، بالإضافة إلى أن أغلب ما اكتشف من نصوص هي نصوص رسمية، أي أن اللغة اليومية واللغة الأدبية لم تكن تسجل أو لم تكتشف نصوصها بعد. وكذلك، فإن عدم وجود الكلمة في معاجم اللغة العربية لا يعني أن العرب في عصر نزول القرآن لم يكونوا يتكلمون بها؛ لأن المعاجم أغفلت كثيراً من لغة العرب بسبب القواعد والقيود التي وضعت لجمع اللغة.

2.1. أَلْفَاظٌ غَيْرٌ مَوْجُودَةٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَمَوْجُودَةٌ فِي الْيَمِينِيَّةِ الْقَدِيمَةِ:

وهذه الكلمات ترد في معاجم اللغة اليمينية القديمة، ولا وجود لها في معاجم اللغة العربية، وسأضرب هنا أمثلة؛ لأنني وضعت جدولاً لكل الكلمات في آخر البحث:

- نُؤُد/ نُؤَاد:

النُّود - وجمعها نُؤَاد ونُؤَادَةٌ ونُؤِيد - في اللغة اليومية تعني الرياح، وجاءت في أغاني الزراعة في أكثر من مَوَالٍ، مثل:

هَزَّتْ نُؤَادِ المَدَّارِي

يَا نُؤُرَ لَا مَنَّتْ دَارِي

ووردت هذه اللفظة في لغة النقوش، ففي المعجم السبئي «النود: الريح» (Beeston، 1982، 101)، وفي معجم العربية الجنوبية القديمة بالمعنى نفسه، فلفظة ندن باليمينية القديمة تعني الرياح. (Biella، 1982، 297)

وترتبط النود (الرياح) بمواسم الزراعة والمطر عند المزارعين اليمينيين عموماً وفي البيضاء على وجه الخصوص، فهبوب الرياح من جهة معينة وبطريقة معينة يعني عندهم دخول موسم الزراعة (الذري)، وهبوبها بطريقة أخرى ومن جهة معينة أيضاً يعني المطر الغزير، وهكذا.

- المَدَّارِي/ الدَّارِي:

وردت هاتان اللفظتان في أغاني الزراعة كما في المثال السابق، وفي قولهم:

يَا دَارِي الحَبِّ رِفَّهُ

عَلَى الخُطِيِّ والمَدَّارِي

والدَّارِي والمَدَّارِي من الفعل (ذراً)، والذي يعني البذر في العربية الحديثة، وهو وضع الحبوب في الأرض بغرض زراعتها، والدَّارِي هو الذي يقوم بهذا العمل، والمَدَّارِي اسم لموسم الذري أو (التلقيم)، واسم لكل ذلك العمل بكل تفاصيله.

وردت هذه اللفظة ذراً في معجم العربية الجنوبية القديمة (Biella، 1982، 99) بمعنى ذراً وزرع، والمذراً مذرأ الأرض المزروعة، أي التي

موجودة في العربية، ف«الجزبة»، بالكسر: المَرْزَعَةُ. قَالَ بِشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ:

تَحَدَّرَ مَاءُ الْبَيْرِ عَنِ جُرْشِيَّةٍ ... عَلَى جِزْبَةٍ،
تَعْلُو الدِّبَارَ غُرُوبُهَا
... الْجِزْبَةُ كُلُّ أَرْضٍ أُصْلِحَتْ لِزَرْعٍ أَوْ عَرَسٍ...
وَالْجَمْعُ جِزْبٌ كَسِدْرَةٍ وَسِدْرٌ وَتِبْنَةٌ وَتَبْنٌ». (ابن منظور، 1414، 260/1)
- الغَيْلُ:

وردت هذه الكلمة في المثال السابق، والغَيْلُ - وجمعه غُيُولٌ - في الدراجة الماء الجاري المتفرج من الأرض بشكل طبيعي (من دون تدخل بشري)، وترادف "عيون الماء" إلا أن صفة الجريان ملازمة لها بعكس العيون.

جاءت هذه اللفظة بهذا المعنى في اللغة اليمنية القديمة، فهي تأتي بمعنى الماء إذا انفجر من الأرض وسال وجرى، وبمعنى مجرى ماء، أو قناة ماء، فقد وردت بلفظها ومعناها غيل غيل. (Beeston، 1982، 54-55) وهو الماء المتدفق من الأرض، وأغيل أغيل المكان تدفق بالماء في شكل جدول أو نهر صغير. (Biella، 1982، 394)

وهو لفظ تشترك فيه اليمنية القديمة مع العربية الحديثة فالغَيْلُ في هذه الأخيرة «الماء الجاري على وجه الأرض. وفي الحديث: "ما سقي بالغيل فيه العشر، وما سقي بالتلو ففيه نصف العشر"، وقيل: الغَيْلُ، بالفتح، ما جرى من المياه في الأنهار والسواقي وهو الفتح، الغَيْلُ مكان من العَيْضَةِ فيه ماء معين... والغَيْلُ: كُلُّ مَوْضِعٍ فِيهِ مَاءٌ مِنْ وادٍ وَنَحْوِهِ. (ابن منظور، 1414، 511/11-512)

- السَّبُولُ في العامية سنبله الذرة والبر والشعير وما شابهها، وجمعها سَبُولٌ، وهي يمنية قديمة، فقد جاءت في النقوش سبولة سبلة بمعنى السنبله (Beeston، 1982، 123) وهي من الكلمات التي دونتها معاجم العربية الحديثة، «والسَّبُولُ والسَّبُولَةُ والسَّبُولَةُ: الزَّرْعَةُ الْمَائِلَةُ. والسَّبِيلُ: كَالسَّبُولِ، وَقِيلَ: السَّبِيلُ مَا انْبَسَطَ مِنْ شِعَاعِ السَّبُولِ، وَالْجَمْعُ سَبُولٌ، وَقَدْ سَبَّلْتُ وَأَسْبَلْتُ. اللَّيْثُ: السَّبُولَةُ هِيَ سَبُولَةُ الذَّرَّةِ وَالْأَرْرُ وَنَحْوَهُ إِذَا مَالَتْ. وَقَدْ أَسْبَلُ الزَّرْعُ إِذَا سَبَّلَ. والسَّبِيلُ: أَطْرَافُ السَّبُولِ، وَقِيلَ السَّبِيلُ السَّبُولُ، وَقَدْ سَبَّلُ الزَّرْعُ أَي حَرَجَ سَبَّلَهُ». (ابن منظور، 1414، 321/11)

- مَحَجَرٌ - والجمع مَحَاَجِرٌ - في اللغة العامية هو الأرض أو المزرعة أو المرعى الذي لا يحق لأحد الانتفاع بها أو رعيها إلا صاحبها، والمقصود بها المحرمة أو الممنوعة عن غير أهلها. وهو يقابل "البنيح" أي المباح، وهو المراعي أو المزارع التي تصبح مشاعة ليستفيد (ياكل منها ويرعى فيها) أي شخص.

وترد هذه الكلمة في أغاني الزراعة في

حقه، ثم تسريبه للحقل التالي عن طريق قنوات أو فتحات في الودن، تكون مجهزة سلفاً لذلك.

2.2. ألفاظ مشتركة بين العربية واليمنية القديمة:

هذه الكلمات هي الأغلب، ولعل ذلك عائد إلى أن اللغة العربية الحديثة هي تطور وامتداد طبيعي للغة اليمنية القديمة (العربية القديمة)؛ ولذلك فإننا نجد معجمها مشتركاً إلى حد كبير.

- السَّيْلُ:

السَّيْلُ في اللغة الدارجة هو الماء الكثير الجاري المتجمع من المطر، وجمعه "سَيُولٌ" ومجرى السيل يُدعى المَسِيلُ. ومن أغاني الزراعة التي جاءت فيها كلمة "سيل" قولهم:

يَا وَادِ الْوَيْلِ

يَا مَسِيْقِي بَعْدَ السَّيْلِ

وهي كلمة يمنية قديمة، فقد ورد في النقوش مسلت مسيل، مجرى وادٍ، بطن وادٍ. (Beeston، 1982، 130) وهذه الكلمة من المعجم المشترك مع العربية الحديثة، وتأخذ المعنى نفسه، ففي لسان العرب «سِيلٌ: سَالَ الْمَاءُ وَالشَّيْءُ سَيْلًا وَسَيْلَانًا: جَرَى... وَالسَّيْلُ: مَعْرُوفٌ، وَالْجَمْعُ السَّيُولُ. وَمَسِيْلٌ الْمَاءِ، وَجَمْعُهُ أَمْسِلَةٌ. وَهِيَ مِيَاهُ الْأَمْطَارِ إِذَا سَالَتْ؛ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الْأَكْثَرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فِي جَمْعِ مَسِيْلٍ الْمَاءِ مَسَايِلٌ، غَيْرُ مَهْمُوزٍ، وَمَنْ جَمَعَهُ أَمْسِلَةً وَمُسْلًا وَمُسْلَانًا فَهُوَ عَلَى تَوْهْمِ أَنْ الْمِيَمَ فِي مَسِيْلٍ أَصْلِيَةٌ وَأَنَّهُ عَلَى وَرْنِ فَعِيلٍ، وَلَمْ يُرَدِّ بِهِ مَفْعَلٌ كَمَا جَمَعُوا مَكَانًا أَمْكَنَةً، وَلَهَا نَطَائِرٌ. وَالْمَسِيْلُ: مَفْعَلٌ مِنْ سَالَ يَسِيْلُ مَسِيْلًا وَمَسَالًا وَسَيْلًا وَسَيْلَانًا، وَيَكُونُ الْمَسِيْلُ أَيْضًا الْمَكَانَ الَّذِي يَسِيْلُ فِيهِ مَاءُ السَّيْلِ، وَالْجَمْعُ مَسَايِلٌ». (ابن منظور، 1414، 391/14)

- جِزْبَةٌ/جُرْبِيَّةٌ:

جِرْبَةٌ - وجمعها جِرْبٌ - وهي المساحة المحددة من الأرض المستصلحة أو المعدة للزراعة. وتصغيرها "جُرْبِيَّةٌ". ومن أمثلة من مهاجل الزراعة قولهم:

مَعِي جِرْبَةٌ عَلَى الْغَيْلِ

الَّتِي يَدِي غَرَارَهُ

وَالشَّاجِبَةُ تَقْضِي الدَّيْنَ

وَيُرَوَى بِالنَّصْغِيرِ:

مَعِي جُرْبِيَّةٌ عَلَى الْغَيْلِ...

وهي لفظة يمنية قديمة، ففي المعجم السبني يأتي الفعل جرب بمعنى «بنى الحقول على هيئة مدارج»، (Beeston، 1982، 50) وفي المعجم القتباني تأتي جِرْبٌ جِرْبٌ اسمًا بمعنى «الحقول المدرجة (المدرجات الزراعية) والحقول المجهزة للزراعة». (Ricks، 1989، 40) وفي معجم العربية الجنوبية القديمة تأتي فعلاً بمعنى صنع حقولاً، وتأتي اسمًا بمعنى الحقول المجهزة للزراعة أو الأرض المصفاة من أجل البذر والزراعة. (Biella، 1982، 75) والكلمة بالمعنى نفسه

محافظة البيضاء مثل قولهم:

قَالَ ابْنُ بَحْرَانَ يَا رُمَانَ مَحْجَرٌ وَيَبِيحُ
الْبَيْحُ مَا بَاهُ وَالْمَحْجَرُ قَرَحٌ فِيهِ صَيْحٌ

وهي كلمة يمنية عنيفة، وردت في النقوش القديمة، ففي المعجم القتباني: حجر بمعنى سيطر ومنع وحرم. (Ricks، 1989، 60) وفي معجم اللغة العربية القديمة حجر حجر سيج أو طوق، وتأتي بمعنى عزل أرضاً وحجرها، والمحجر محجر الأرض أو المراعي المسيجة المحجورة، وهي أيضاً المسالك المحيطة بالقرى، (Biella، 1982، 166-167) أي حمى القرية أو القبيلة التي تكون ممنوعة على غيرها.

وفي العربية أصل الحُجْر «مَا حَجَزَتْ عَلَيْهِ أَيْ مَنَعَتْهُ مِنْ أَنْ يُوَصَلَ إِلَيْهِ. وَكُلُّ مَا مَنَعَتْ مِنْهُ، فَقَدْ حَجَزَتْ عَلَيْهِ؛ وَكَذَلِكَ حَجَزُ الْحُكَّامِ عَلَى الْإِيْتَامِ: مَنَعُهُمْ؛ وَكَذَلِكَ الْحُجْرَةُ الَّتِي يُنْزِلُهَا النَّاسُ، وَهُوَ مَا حَوَّطُوا عَلَيْهِ. وَالْحَجْرُ، سَاكِنٌ: مَصْدَرٌ حَجَرَ عَلَيْهِ الْقَاضِي يَحْجُرُ حَجْرًا إِذَا مَنَعَهُ مِنَ النَّصْرِ فِي مَالِهِ... هُوَ مِنَ الْحَجْرِ الْمَنْعِ، وَمِنْهُ حَجْرُ الْقَاضِي عَلَى الصَّغِيرِ وَالسَّوِيهِ إِذَا مَنَعَهُمَا مِنَ التَّصْرِفِ فِي مَالِهَا». (ابن منظور، 1414، 167/4)

فهذه الكلمة يمنية أصيلة احتفظت بها العربية الحديثة، كما احتفظ بها اليمينيون في لغتهم اليومية إلى يومنا هذا. ومن الأدلة على أنها يمنية عنيفة ما ورد عن محاجر أقيال اليمن، وهي الأرض التي تكون للقليل لا يرهاها ولا ينتفع بها أحد غيره، جاء في لسان العرب: «المَحْجَرُ، بِالْفَتْحِ: مَا حَوَّلَ الْقَرْيَةَ؛ وَمِنْهُ مَحَاجِرُ أَقْيَالِ الْيَمَنِ وَهِيَ الْأَحْمَاءُ، كَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جَمِيٌّ لَا يَزَعَاةَ غَيْرُهُ. الْأَزْهَرِيُّ؛ مَحْجَرٌ الْقَيْلُ مِنْ أَقْيَالِ الْيَمَنِ حَوْرَتْهُ وَنَاجِيَتْهُ الَّتِي لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهَا غَيْرُهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: "أَنَّهُ كَانَ لَهُ حَصِيرٌ يَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ وَيَحْجُرُهُ بِاللَّيْلِ"، وَفِي رِوَايَةٍ: يَحْجُرُهُ، أَيْ يَجْعَلُهُ لِنَفْسِهِ دُونَ غَيْرِهِ. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: يُقَالُ حَجَزْتُ الْأَرْضَ وَاحْتَجَزْتُهَا إِذَا ضَرَبْتَ عَلَيْهَا مَنَارًا تَمْنَعُهَا بِهِ عَنْ غَيْرِكَ». (ابن منظور، 1414، 171/4)

فهذه الكلمة بلفظها ومعناها موجودة في اللغة اليمنية القديمة، وقد أشارت المعاجم العربية إلى يمنيته.

3. ظواهر اللغة اليمنية القديمة في ألفاظ الزراعة:

3.1 أداة التعريف: (كريمان)

من الظواهر التي ما زالت موجودة في المحكية اليمنية واحتفظت بها أغاني الزراعة - وهي ظواهر من اللغة اليمنية القديمة - التعريف بـ(ان)، مثل كلمة "كريمان" في المهجل الآتي:

يَا اللَّهُ مِنْ إِيْدِي وَلِيْدِكَ

وَآتَقَفَهَا يَا كَرِيْمَان

فكلمة "كريمان" هي "الكريم"، وهي صفة لله تعالى في المهجل، وبدلاً من تعريفها بـ(ال)، وهو

نظام التعريف في العربية، جاء التعريف بـ(ان)، وهو نظام التعريف في اليمنية القديمة. (إسماعيل، 2000، 83) فـ"الكريم" تكتب في النقوش "كرمن"، مع ملاحظة أن حروف المد أو الحركات الطويلة (الألف، والواو، والياء) تنطق ولا تكتب في اليمنية القديمة.

3.2 الباء في بداية المضارع:

يقول أبناء محافظة البيضاء تعبيراً عن نيتهم عمل شيء ما، أو وصفهم لفعالهم، "بِفَعْل"، و"الباء" هنا تقابل "سين" الاستقبال في الفصحى في بعض المواضع، "أي سأفعل"، إلا أنهم يحذفون "همزة" المضارعة من بداية الفعل للتخفيف، لأن اجتماع الباء مع الهمزة؛ يسبب ثقلاً في النطق، واللغة الدارجة تميل دائماً إلى التخفيف.

وهذه الظاهرة وردت في بعض أغاني الزراعة، كما في المثالين الآتيين:

أ) بَسْرَحْ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

هُوَ ذِي عَلَيْهِ الْوَكَالَةَ

بَسْرَح: أي سأسرح، والمعنى سأخرج في الصباح، وهو ضد "رَوَّح"، التي تعني العودة.

ب) بَعْمَلْ عَلَى ثَوْرٍ رَاحِفٍ

وَلَا تِكَلِّفْ لَأَصْحَابِ

بَعْمَلْ: أي سأعمل، والعمل هنا المقصود به "حراثة الأرض". (*)

وهذه الظاهرة (دخول الباء على الفعل المضارع) هي ظاهرة لغوية يمنية قديمة، وقد أثبتت النقوش وجودها في اللغة القتبانية إذ «تتميز القتبانية بأن المضارع غير المنون وغير المسبوق بلام الطلب أو أداة شرط كثيراً ما يسبق بباء زائدة». (إسماعيل، 2000، 212)

4. جدول كلمات أغاني الزراعة في محافظة

البيضاء في اللغة اليمنية القديمة:

في هذا الجدول كلمات أغاني الزراعة التي وجدت لها أصلاً في اللغة اليمنية القديمة، وهذا الجدول ليس شاملاً لكل ألفاظ الزراعة، لأنه مقتصر على الألفاظ التي وردت في الأغاني التي اعتمدها هذه الدراسة.

عربية القران	اليمنية القديمة		الكلمة
	السبدي	القتباني	
لسان العرب	العربية الجنوبية		
/14		162	128
391			
/11			130

(*) تنقسم مراحل حراثة الأرض عند سكان المحافظة إلى مرحلتين: الأولى: تقليب التربة بعد المطر أو بعد غمرها بالماء، ويسمى هذا "عَمَل"، والمرحلة الأخرى: استخدام أدوات الحراثة في ذري الحبوب، ويسمى "التَلِيم".

عربية القرآن	اليمنية القديمة			الكلمة
	العربية الجنوبية	القتباني	السبدي	
614/1		122	-17	عقب
			18	
264/4	201	72	62	خير
96/11	65			جبال
/11		60	65	جبال
134				
			68	حوم
/13	268		88	الماء
543				
/12	81			دايم
213				
357/3	147		162	وارد
89/14	47	29	29	بنات
83/3	55		30	البارد
141/7	168			الحوض
/15	292	102		نجا/نواجي
304				
26/14			2	أدى
519/1	420			صاحب
	122		156	ودن
293/1	-	-	65	حب

5. أغاني الزراعة الواردة في الدراسة:

- يَا مَسْقِي بَعْدَ السَّيْلِ يَا وَدَّ الْوَيْلِ
- مَعِي جَرِيَّةٌ عَلَى الْغَيْلِ ... التِّلْمِ يَدِّي عَرَّازَهُ ...
وَالشَّاحِبَةُ تَفْضِي الدِّينَ
- أَلَا يَهْلُ السَّبُولُ أَفْسَحُونَا غَابَتِ الشَّمْسُ
- يَا لَهِ مِنْ إِيْدِي وَلَيْدِكَ ... وَاتَّلَقَهَا يَا كُرَيْمَانَ (يقال
عند التلبيم)
- قَالَ ابْنُ بَخْرَانَ يَا رُمَانَ مَخْجَرٌ وَيَبِيحٌ ... الْبَيْحُ مَا بَاهُ
وَالْمَخْجَرُ قَرَحٌ فِيهِ صَبْحٌ (يقال عند الشرياف)
- قَلْبِيَّةٌ يَا الْجَعِيدِي ... يَا مَا جَلَمْنَا وَعَادِهِ (عند
الصراب)
- لَا أَشْتِي جَمَلَ فَاتِرٍ وَلَا أَشْتِي نَاقَهُ .. أَشْتِي مَكِينَةَ
وَرَبِيَّةَ سَلَاقَةَ (عند التلبيم)
- قَالَ ابْنُ دَهَامٍ يَا عَيْنَ الشُّمُوسِ أَنْتِجِي ... مِنْ مَيْدِ
نَاوِي قَدْ الْمَضْنُونُ مَا دَامَ حَيٌّ (عند الشرياف)
والصراب)
- غَابَتِ الشَّمْسُ يَا عَمَّ صَالِحٍ .. وَأَنْتِ عَادَكَ تُجْرُ
الْمَدَاعَةَ (عند الصراب)
- الْمَطَرُ وَالسَّيْلُ جَانَا ... يَا مَرَّةَ سُؤْيِ عَشَانَا
- هَزَّتْ تَوَيْدَهُ يَا عَذَابَ الدَّارِي ... وَيَا عَذَابَ مَنْ كَانَ
تَوْرَهُ وَارِي (عند التلبيم)
- هَزَّتْ نَوَادِ الْمَدَارِي ... يَا تَوْرَ لَا مَنْتَ دَارِي (عند
التلبيم)
- وَالْيَوْمَ يَا لَهِ وَالْيَوْمَ دَائِمٌ ... بَكَّرَ مِنْ امْصَبِحِ يَزَعِي
الْعَنَائِمِ (يقال عند الصراب)
- سَرَّحْتَ شَرِيْفٍ ... وَمِنْ فَوْقِ الْمَفَارِقِ سَبُولُ (يقال
عند الشرياف)

عربية القرآن	اليمنية القديمة			الكلمة
	العربية الجنوبية	القتباني	السبدي	
350				
467/3	-130	51	160	ولد
	131			
/11	-126		-	الويل
737	127			
260/1	75	40	50	جريبة/جربة
/11	394		-54	الغيل
511			55	
/11	225		172	ظلال
416				
261/6	229		167	يابس
/10	-149	56	162	ورق
374	150			
/11			123	السبول
321				
543/2			46	افسحونا
113/6	518	-168	133	الشمس/الشموس
		169		س
178/5	273		88	المطر
171/4	-166	60		محجر
	167	السيطرة		
563/1			124	طاب
557/2		149	107	قرح
156/1	273	99	87	مره
/14		159		سوي/سي
410				
/11		39	49	جمل
123				
663/1	-465			اقرب/تقرب
	466			
/10	298		101	ناقة
362				
447/1	227			الزربية
/11	442	141	102	قبول
540				
/11			116	الرجال
265				
/13	313			المضنون
261				
/14	-168		-74	حي
214	174		75	
	297		101	نواد/نود
	99		40	المداري/الذاري
111/4	543	179	152	ثور
76/4				بكر
/14	49		113	يرعى
325				
/14	76			جارية
143				
92/4	535		148	تمرة

- هذه الألفاظ والظواهر هي بقايا اللغة اليمنية القديمة، احتفظت بها أغاني الزراعة (واللهجة بشكل عام) في محافظة البيضاء.

التوصيات:

- إنشاء "مركز التراث الشعبي" في جامعة البيضاء، تكون وظيفته جمع تراث محافظة البيضاء وتدوينه ودراسته.

- قيام وزارة الثقافة بدورها في جمع التراث الشعبي ودراسته.

- إنشاء "مبادرات مجتمعية" للحفاظ على التراث، من خلال جمعه ودراسته.

المصادر والمراجع:

- ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414). لسان العرب. ط 3. بيروت. دار صادر.

- إسماعيل، فاروق. (2000). اللغة اليمنية القديمة، تعز، اليمن. دار الكتب العلمية.

- الصالح، صبحي إبراهيم. (1960). دراسات في فقه اللغة. ط 1. بيروت. دار العلم للملايين.

- عبدالقواب، رمضان. (1999). فصول في فقه اللغة. ط 6. القاهرة. مكتبة الخانجي.

- المعجم، Beeston, A. F. I. (1982).

- منشورات جامعة صنعاء. (Sabaic Dictionary: English - French - Arabic).

- Biella, Joan Copeland. (1982). Dictionary of Old South Arabic. CA.

Scholars Press.

- Ricks, Stephen D. (1989). lexicon of Inscriptional Qatabanian. Roma.

Pontificio Istituto Biblico.

- قَالَ ابْن دَهَام يَوْمَ النَّوْرِ يَوْمَ الْقَبُولِ ... يَوْمَ الْمُشْرِيفِ يَظِلِّي فِي ظِلَالِ السَّيُولِ (يقال عند الشرياف)

- سَلِمَهَا وَسَلَّمَ يَا مَالِي ... سَلِمَهَا لِلْسَيْلِ الدَّأَوِي (يقال عند الشصور)

- تَلَمَّتْهَا حَبِينِ حَطِيمِنِ يَابَسِ ... وَصَبِحَ بِصَنَعِ اللَّهِ وَرَقٍ مَتَلَامَسِ

- سَرَحْتُ الْيَوْمَ يَا لَهِ وَطَابِتْ كُلُّ نِيَّةٍ ... وَيَا رَحْمَانَ فُكَّ الْخَلْقِ لَا هِيَ عَجِيَّةٌ

- أَقْرَبُ تَقَرَّبَ مَا عُنَيْكَ رَبِّيهِ ... سَعَلَيْكَ يَا طَيْرِي عَلَى الزَّرْبِيِّهِ ... الْكَلْبِ مَاثِي وَالرَّجَالِ غَيْبِهِ ... مَا هَلْ مَعَانَا جَارِيهِ غَرْبِيِّهِ ... مَا تَعْرِفُ التَّمْرَةَ مِنَ الزَّرْبِيِّهِ (يقال عند التليم)

- وَاحْنَا نُفُولُ الْيَوْمِ يَا جِبَالِهِ ... يَا مَنْ بَسَطَ شَمْسِهِ عَلَى جِبَالِهِ

- سَقَاهَا السَّيْلُ ... وَعَقَّبَ حَيْرٌ ... وَمَوْلَاهَا يُعْوَدُ الْخَيْرُ (يقال عند الصراب)

- حَوْمُ الْمُقِيلِ اسْهَرِ الْعَيْنِ ... وَسَى فِي الْعَيْنِ غَمَّاشِ (يقال عند العمل/الحراثة)

- يَا هَلُوبُ الْيَوْمِ بِأَمَّا الْبَارِدِي (يقال عند الشصور)

- يَا وَارِدًا وَالْيَوْمِ وَارِدٌ ... يَا حَمَائِمَ غِرْدَانٍ ... يَا وَارِدًا وَالْحَوْضِ صَاقِي ... مَا يَلَاهُ الْغَارِي (يقال عند الشصور)

- نَجَاكُنْ اللَّهُ يَا بَنَاتِ نَاجِي ... نَجَاكُنْ اللَّهُ وَأَنْكُنْ نَوَاجِي (يقال عند الشصور)

- يَا مَسْلَمَةَ يَا بِنْتُ مَسْلَمَانِي ... رُدِّي الْمَرْقَ وَإِدِّي لَنَا رَوْمَانِي ... رَغِي صَاحِبِ النَّوْرِ جَالِسِ عَلَى لُؤْدَانِي (يقال عند العمل/الحراثة)

- يَا ذَارِي الْحَبِّ رِفَهُ ... عَلَى الْخَطَى وَالْمَذَارِي (يقال عند التليم)

- بَعْمَلِ عَلَى تَوْرِ زَاجِفٍ ... وَلَا تِكْلَافِ لَصْحَابِ (يقال عند العمل/الحراثة)

- بَسْرَحَ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ... هُوَ ذِي عَلَيْهِ الْوَكَالَةَ (يقال عند العمل/الحراثة)

الخاتمة:

في اللغة الدارجة في محافظة البيضاء

(وخاصة منها نصوص التراث الشعبي) كثير من الألفاظ والظواهر التي كشفت الدراسات الأثرية أنها موجودة في اللغة اليمنية القديمة. وقد أوضحت هذه الدراسة وجود هذا الارتباط من خلال أغاني الزراعة، وتوصلت إلى النتائج الآتية:

- هناك كثير من ألفاظ الزراعة في محافظة البيضاء وردت في اللغة اليمنية القديمة باللفظ والمعنى، وهي أيضًا من المشترك اللغوي مع العربية، أي أنها من الألفاظ التي دونتها معاجم العربية الفصحى.

- توجد بعض الألفاظ في هذه الأغاني التي لها أصل في اليمنية القديمة، ولا وجود لها في المعاجم التي دونت العربية الفصحى.

- تضم هذه الأغاني بعض الظواهر اللغوية التي اشتهرت بها اللغة اليمنية القديمة.